موقف الحركة الإصلاحية الباديسية من الطريقة العليوية

د. محمد مرغيت
جامعة أدرار

يتناول هذا المقال جانبا من الصراع الفكري بين الحركة الإصلاحية الجزائرية والحركة الصوفية الطرقية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، ويهدف هذا البحث إلى بيان مواقف الحركة الإصلاحية وعلى رأسها ابن باديس وجماعته من العلماء وكيف تعاملوا مع التيار الطرقي من جانبين: الأول الانحرافات الفكرية العقدية ،والثاني تسخير الاستعمار وتوظيفه لها، وهذا ما سنبينه خلال هذه الورقة البحثية.

Le présent article traite un point relatif à la querelle entre le movement réformiste et le mouvement soufiste au cours des années vingt et des années trente du siècle précédent. Notre article vise essentiellement à montrer l'opinion réformiste, sur sa tête le cheikh Ibn Badis et un groupe de oulémas et comment ils ont fait face au movement soufiste en se focalisant essentiellement sur deux points cruciaux, a savoir : 1- la dérive de la culture et de la croyance. 2- comment le colonialisme a pu profiter de ce mouvement. Notre travail travail de recherche va s'articuler sur ces deux points .

مقدمة

عرف مطلع القرن العشرين في الجزائر المعاصرة تحولات كثيرة، أهمها بروز بوادر نهضة وطنية شملت الجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية، ولعل أهم هذه التطورات هو انتقال الجزائريين من الكفاح المسلح إلى الكفاح السلمي سواء كان في شكل مقاومة سياسية أو ثقافية، وأبرز مظاهر التطور ظهور نخبة من المثقفين عملوا على بعث الحركة التعليمية في الأوساط الاجتماعية وأسسوا لمشروع ثقافي بدا في البداية في شكل أعمال فردية غير منظمة، وانتهى مع مطلع العقد الثالث في شكل منظم ومؤطر من نخبة من العلماء ذوو نزعة إصلاحية سلفية ، وهؤلاء هم المؤسسون الفعليون للحركة الإصلاحية الجزائرية.

إن ابرز ما تقدمت به هذه الجماعة الإصلاحية هو التأسيس لمشروع ثقافي متكامل، يستهدف كل ما يضر بالأمة الجزائرية ومقوماتها الوطنية، وإذا كان الاستعمار أضحى أمرا واقعا ومفروضا بالقسر، وأن مجابهته أمرا محتوما، فإن الجماعة الإصلاحية قد تعاملت معه بمنهجية مضادة استهدفته ووقفت في مشروعه التغريبي ، كما حاربت كل أعوانه ومساعديه أو من يقفون في وجه المد الإصلاحي بطريقة أو بأخرى.

ولعل ظاهر الطرقية التي انتشرت في الجزائر وصارت إحدى المكونات الأساسية للمشهد الديني في الجزائر قد لعبت أدوارا سلبية في مطلع القرن العشرين، وصارت أداة طيعة في يد المستعمر الفرنسي سخرها في حرب الجماعة الإصلاحية بقيادة عبد الحميد ابن باديس.

وتكاد جميع المصادر التاريخية[1] تجمع على أن الطريقة العليوية قد جلبت على الأمة الجزائرية وتدينها، وجنت عليها ما لم تستطع سلطة الاحتلال أن تفعله طيلة

[1] – المقصود بالمصادر التاريخية تلك التي أرّخت للحركة الإصلاحية الجزائرية بأقلام إسلامية.

وجودها في الجزائر. ولهذا حدث الصدام بين الإصلاحيين والعليويين في جبهات كثيرة وأهمها الصحافة، التي كانت مسرحا لحرب دعائية شرسة. ولهذا الإشكالية المطروحة هنا ماهو موقف الحركة الإصلاحية ورجالها من الطريقة العليوية ؟ وكيف تعامل رجالها مع شيوخها وأتباعها، وما هو منهج الجماعة في الرد وبيان انحرافهم..[1]

أ- أسباب محاربة الطرقية

لم يُقدِم الاصلاحيون على محاربة الطرقية إلا بعد أن ظهر من الطرقيين انحرافات دينية مسَّت جوهر الإسلام وعقيدة الجزائريين، ولهذا يحق للباحث أن يتساءل لماذا تُحارب الطرقية ؟ ولعل أصدق وصف وأحسن إجابة عن هذا السؤال، ما كتبه أحد كتَّاب – صحيفة الشهاب – في بيان سبب محاربة الطرقية، يقول: " لم يتصدوا لمقاومة الطرقية إلا بعد أن رأوا رؤساءها قد قعدوا للمسلمين على كل طريق للخير يصدونهم ... قعدوا على طريق التوحيد، فإذا دعونا إلى عبادة الله وحده وسؤاله وحده والقسم به وحده ...أبوا إلا أن يحلف الناس بهم وأن يخضعوا لهم، ويرجوا تصرفهم ويخافوا دعوة شرهم ... قعدوا على طريق الاتحاد، فإذا دعونا الناس إلى أخوة الإسلام أبوا إلا أخوة الشيخ وجماعته ... فصير الناس طرائق قددا، وجعلوا تحت كل طريق فرقا... وهكذا ما توجه المصلحون ناحية من نواحي الإصلاح إلا ووجدوا الطرقيين قد قاموا في وجوههم يصدونهم عنها، ولهذا رأوا أن لا سبيل إلى شيء من الإصلاح إلا بعد مقاومتهم وكف شرِّهم، فابتدأناهم، ومن يلوم المصلحين بعد هذا الذي ذكرنا في البذاءة بهم؟"[2]

[1] – ينظر: ربيع بن هادي المدخلي، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الكتب والرجال والطوائف، (دط)، مكتبة الصحابة،جدة،1992

[2] قدرو بن محمد لخضر، " محاربة الطرقية "، الشهاب، ج.5، م .10 محرم 1352 الموافق لـ: أفريل 1934، ص. 213 .

ويجيب ابن باديس صاحب – الشهاب – بقوله:"حاربنا الطرقية لما عرفنا فيهم – علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ... وقد عزمنا أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها."[1] وأما العقبي فيقول: " نحن لا نحارب الطرقيين بعصا ولا "موسي"– سكين – ولا نضربهم بمدية ولا دبُّوس، وإنما نبين عقائدنا بالنطق باللسان والكتابة بالبنان، ونحتج لصحتها بالدليل والبرهان... فهل هم فاعلون كما فعلنا، وهل يتصفون كما اتصفنا؟... ولكن مالهم يعملون أعمال الوحوش وشرار النفوس ويردُّون علينا بالضرب، وبالموسي والدبوس*"[2].

وقد تساءل الكثير من الفرنسيين عن سبب محاربة العلماء المصلحين للطرقية والمرابطين وكان أكثر الناس قصدا العقبي الذي كان عنيفا معهم شديدا في النقد والنقض .

وبهذا ما فتئ العلماء والمصلحون يحذرون منهم ويحاربونهم، وهذا ابن باديس ينصح المسلم الجزائري بأن يحذر كل متربص يريد أن يقف بينه وبين ربه، ويسيطر على عقله وقلبه وجسمه وماله بقوة يزعم أنه يتصرف في الكون، كما حذَّر من كل دجَّال يتاجر بالرقى والطلاسم ويتخذ آيات القرآن وأسماء الرحمان هزءا، يستعملونها في التمويه والتضليل[3]، وصدق على الطرقيين قول الشاعر :

وكيف وفي الطرائق كل داء *** مبيد يجلب الموت الزؤوما

[1] – ابن باديس، "الطرقية"، الشهاب ج.1، م.14، محرم 1357 الموافق لـ: مارس 1938، ص. 6 .

* –والعقبي إنما ذكر العصا والدبوس، إشارة إلى حادثة الاعتداء على ابن بادبس من طرف العليويين. ينظر لاحقا.

[2] – الطيب العقبي، "أين الحكومة لتحفظ النظام العام"، الشهاب، عدد 80، 16 رجب 1345 الموافق: لـ: 20 جانفي 1927، ص.11.

[3] – ينظر ابن باديس، "أيها المسلم الجزائري"، الشهاب، عدد 49، 15 صفر 1345 الموافق لـ: 23 أوت 1926، ص.1، 2.

ولك ما به هلكـت بلادي *** وجرح أهلها جاما فجـــاما

وإنا سوف تدركنا المنايا *** وبالحسرات لم تصل المراما

ألا فلنتحد في السير حتى *** يكون نجاحنا أمـــــــرا لزاما

ونفي نذرنا بقتال طرق *** نذرنا قطع دابـــــــرها التزاما[1]

أما شيوخ الطرقية فقد تجرؤا على الله بجهلهم، وأفتوا فتاوى مخالفة للعقل والشرع والفطرة، وانتقدوا كل ما هو جديد ومحدث من أمور الدنيا، كما انتقدوا المدنية العصرية وحرموا قراءة العلوم العصرية، وصدق عليهم قول القائل :

علماء الوقت فينا *** حرموا كل جديد

قالوا علم العصر كفر *** رجمه قبل المريد

نقموا عنا وقالوا *** أنكم أهل جور

جردوا سيفا علينا *** علَّه سيف الهنودِ

جعلوا الدين ستارا *** تحت قوات الجمودِ

وما يلفت النظر أن الحرب التي أعلنها العلماء ضد الطرقية، إنما كانت موجهة للاستعمار الذي كان يؤيدها، ويؤازرها ضد حركة الإصلاح،[2] ويذكر محفوظ قداش: "أن الطرقيين الذين حاربهم العلماء هدَّدوا بواسطة امتيازاتهم العائلية أن يكونوا سندا

[1]- محمد المكي الناصري، "إلى شباب الأمة"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـ: 17 مارس 1927، ص.17، 18.

[2]- ينظر: مازن صلاح حامد مطبقاني، مرجع سابق، ص. 139 .

للإدارة التي طلبوا منها حمايتهم".[1] وهو القول الذي ردده (آجرونAgeron) بقوله: "أصبحت كلمة مرابطين تدل على الجهل والتخلف، وكذلك أصبحت تعني المؤيدين للاحتلال والإدارة الاستعمارية"[2].

ثم إنه من الأسباب الرئيسة في محاربة الطرقيين من قبل المصلحين، دعوتهم –أي الطرقية – إلى التفرق والاختلاف بلسان حالهم، وما حاربهم المصلحون إلا أنهم يعتقدون أنه لا طرق في الإسلام، وإنما هو دين واحد، وطريقة واحدة جامعة هي طريق أهل السنة والجماعة.

ومما ابتليت به الجزائر في دينها ودنياها في مطلع القرن العشرين طريقة صوفية اشتهرت وداع صيتهما وانتشر خبرها وسطع نجمها، وهي طريقة مستحدثة أو مولَّدة عن طرق أخرى، وهي الطريقة العليوية، التي جدَّد بها صاحبها منهج وسير الطريقة، وأدخل عليها طقوسا جديدة وبدعا مستوردة وعقائد باطنية قديمة وحديثة، وبذلك نالت من الشهرة والانتشار ولقيت قَبولا لدى جهلة الناس وغوغائهم ممن لا دين لهم ولا عقل.

وفي هذا السياق، ما هو موقف علماء الحركة الإصلاحية من هذه الانحرافات الطرقية؟ وما هو المنهج الذي سلكوه في بيان انحرافاتها ؟

1– Mahfoud Kaddache ,Histoire du nationalisme algérienne (1919 – 1951) , S.N.E.D , Alger , 1980 , T.2.p.338.

–[2]Charle Rebert Ageron, les Algérien musulman et la France (1871-1919), T.1, presse universitaire de France.p. 39.

ب- مظاهر الانحراف

من المعلوم من ديننا الحنيف أن القرآن الكريم جاء برابطة عامة تربط بين جميع المسلمين بعد أن كانوا متفرقين شيعا وأحزابا {كل حزب بما لديهم فرحون}[1] وألف بين قلوب كانت إلى زمن قريب متنافرة متناحرة مصداقا لقوله تعالى: " {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقدكم منها..}[2] الآية، والمتأمل في حال بعض الطرقيثين أنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، استبدلوا تلك الرابطة المقدسة العامة برابطة خاصة تدور في فلك محدود وزاوية ضيقة مبنية على التعصب وتقديس الأشخاص " فأنت ترى أيها الرائي وتبصر أيها المبصر أن الطرق على ما هي عليه اليوم، أحالت الأوضاع، فوضعت الفرق حيث وضع القرآن الجمع، مع أن من مصطلحات القوم – أي الطرقية – مقام الجمع ومقام الفرق، فهم بهذا الاعتبار أولى الناس برعاية المقامات وأحقهم باحترام الحرمات فيحصل أن مفسدة الطرق من هذه الوجهة راجحة ومصلحتها – على تسليم وجودها – مرجوحة"[3].

ويمكن القول أن كل بدعة أظهرها الطرقيون وخالفوا بها جماعة المسلمين ودعوا إليها، وتعبدوا الله بها،وقف المصلحون لهم عثرة في وجوههم ونقضوا ما هم عليه من باطل وانحرافات مست عقيدة الجزائريين ودينهم؛ ولا نعجب أن يحمل العلماء تلك الحملات القاسية على مشايخ الطرق بالنقذ والنقض معتمدين في ذلك على بيان

[1]- سورة الروم، الآية 32.

[2]- سورة آل عمران، الآية 103.

[3]- أحمد الهاشمي، "آفة الحق في سكوت أهله عنه"، الشهاب، عدد 113، ربيع الأول 1346 الموافق لـ: 8 سبتمبر 1927، ص. 7،8

تلك المعتقدات الباطلة وبيان مخالفتها للإسلام الصحيح و بدعيتها، وما يقابلها من السنن الصحيحة والمعتقدات السليمة التي توافق روح الإسلام وجوهره.

ولقد ظهرت بعض الأقلام الساخنة في ردع الطرقيين وضلالاتهم نصرة للدين وتصفية له وإنقاذا للمجتمع من هذه الترهات والخرافات، وما حمل العلماء على ذلك إلا بعد أن رأوا كثرة الانحرافات والمخالفات العقدية التي شوَّهت جمال الإسلام وصفاءه. وإن المتأمل في حال هؤلاء العليويين، ليجد أنهم أتوا ببدع من الأقوال والأفعال والاعتقادات ما ضاهوا به الفرق والطوائف الباطنية القديمة والحديثة، فقد اتخذوا الزوايا بيوتا يدعون فيها غير الله، ويشركون به في ربوبيته وألوهيته[1].

وكذلك حارب الاصلاحيون تلك الأذكار المبتدعة[2] التي لم يأت بها قرآن ولا سنة ولا فعله سلف هذه الأمة من القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية، حيث قال فيهم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ..."[3] الحديث، وأما أهل الطرق فلم يكتفوا بالذكر المشروع، بل أضافوا لذلك ما أضافوا من آلة لهو أطربت اتبعوها بالشطح واللغط مما شوهوا به حلوا الذكر، وألصقوا به العار والشنار[4]، وهذه نزعة جاهلية من جنس ما جاء في القرآن في قوله تعالى :{وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية}[5].

كما حارب العلماء هؤلاء بسبب المنهجية التي تعامل بها هؤلاء مع الوحي الإلهي والدستور السماوي، الذين عمدوا إليه فخلعوا عنه تلك الحلة التي ظهر فيها

---

[1] – ينظر المصدر نفسه.ص.8.

[2] – ينظر : أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص .8.

[3] – البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد. رقم (2652) . ج.5، ص.259 ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (2533)، ج.4، ص. 1962

[4] – أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص. نفسها.

[5] – سورة الفرقان، الآية 30،

للمكلفين، وأرخوا دونه أستارا من التأويلات، وغوامض الألغاز، ومستغلق الإشارات ليلبِّسوا بها على الناس دينهم،"حتى أصبح ذلك الكتاب العزيز بين أيديهم "شبه الآل أو طيف الخيال" ولسان حالهم يردد قول القائل:

كفا بجسمي نحولا إنني رجلا *** لولا مخاطبتي إياك لم تراني

وقول الآخر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا *** ليوم كريهة وسداد ثغر[1] .

كما هجروا القرآن وأولُّوه تأويلا، وصدق عليهم قوله تعالى في شكوى نبيه من قومه: {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا}[2]، فمن هجرانه تأويله وتحريفه عن ظاهره" وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره من هجرانه، واجتناب زواجره والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه .. "[3]. وماذا عليهم لو حكَّموا في هذا الباب القاعدة المقررة في الشرع أن المكلف يؤاخذ فيما بينه وبين المخلوقين بظاهر لفظه، فلو أبيح لكل واحد أن يصرف لفظه عن ظاهره لم يوثق بإقرار مُقرٍّ ولا بعقد عاقد، والأصل عدم التأويل، وعند أهل البيان أن التبادر علامة الحقيقة[4].

ومما حمل أيضا علماء الاصلاح على بيان انحرافات الطرقيين ومحاربتها ما يتظاهر به أهل الطرق من الصفاء والوفاء والزهد في الدنيا والتقشف... وهم بعيدون

[1] – أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص.10.

[2] – سورة الفرقان، الآية 30.

[3] – عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.3، ط.1، دار الفيحاء، دمشق 1994، ص. 423. كذلك ينظر: ابن باديس، "شكوى النبي الكريم من هجرا القرآن الكريم"، الشهاب،ج.2. م.8، شوال 1350 الموافق ا: فيفري 1932، ص- ص. 68 – 75.

[4] –أحمد الهاشمي، المصدر السابق، ص. 10.

عنه كل البعد، فيرى الرائي ويبصر المبصر الكثير من أهل الطوائف أشبه الناس اليوم بأولئك الفقهاء الذين عناهم الشاعر الاندلسي بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم *** كالذئب يدلج في الظلام القاتمِ

فملكتم الدنيا بمذهب مالك *** وقسمتم الأموال بابن القاسمِ

وركبتم شهب البغال بأشهب *** وبأ صبغ صبغت لكم في العالمِ[1]

والمتأمل في حال هؤلاء العليويين ما تراهم يجاهرون به من التهافت على حطام الدنيا ونصب الحبائل وتدبير الوسائل أياً كانت، وذلك لاستجلابه أو استلابه إلى غير ذلك من الخوض "فظن شرا ولا تسأل عن الخبر"[2].

والعجب في أمر هؤلاء الطرقيين أنهم اتخذوا سننا لترويج وإشهار طرقهم عبر الجرائد والمجلات (كجريدة البلاغ) لسان حال الطريقة العليوية، يدعون فيها إلى الرهبانية التي ابتدعوها كأنهم يدعون إلى مطبخ جديد أو إلى سوق جديد فتح أبوابه ليروِّجوا بضاعتهم، وليتنافس عليها المتنافسون ولله ذر القائل.

كل يوم تبدي صروف الليالي *** خلقا من أبي سعيد غريبا[3].

كما عمل العلماء على كشف انحرافاتهم، ببيان الفهم الصحيح للقرآن الكريم والتطبيق السليم لأحاديث الرسول الكريم، فهماً واستنباطاً واستدلالاً، وذلك أن الطرقيين زعموا أنهم الأولى بتجديد هذه الأمة أمر دينها، لأنهم حسب زعمهم يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم وليلة ولا يغيب عنهم طرفة عين، ويلقنهم كيفية الذكر ويطلعهم على محبيهم في الجنة ومبغضهم في النار[4]،إضافة إلى

---

[1] – أحمد الهاشمي،مصدر سابق، ص.8.

[2] – المصدر نفسه، ص. 11.

[3] – المصدر نفسه، ص. نفسها.

[4] –ينظر: محمد الزهار، "شر المغرورين أو الغروريين"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـ: 17 مارس 1927، ص. 9.

هذا ارتكابهم المعاصي والمحرمات باسم الدِّين وتلبيسهم على الناس وهم بما يفعلون هذا تقربا إلى الله وهذا – حسب زعمهم — أن البعض منهم بلغ درجة من اليقين أسقطت عنه التكاليف الشرعية[1].

والملاحظ أننا نجد أغلب المنتسبين والمريدين من العليويين إنما دخلوا وانتسبوا للطريقة ليس استحساناً أو رغبة فيها بل أكثرهم جعلوها وسيلة لجمع المال، لما امتاز رؤساؤهم، ولما أتوا من الحيلة والدهاء من ابتكار وسائل جلب المال وادخاره من دون أدنى حركة ولا عمل، "وسائل عجز عن ابتكارها جميع المختصين في فن الاقتصاد، فهم أنكى من البلشفيت الذين يحاولون مصادمة السُّنَّة الإلهية باختلاس أموال الأغنياء وإعطاءها إلى الفقراء، لأنهم يسعون في ابتزاز أموال الفقراء أنفسهم"[2]، وهذا الأمر لا يختلف عن هؤلاء الطرقيين فإنهم استحلوا ما حرَّم الله وحرموا ما أحلَّ الله، يرون من الواجبات الدينية ابتزاز الفقراء والمساكين وإباحة الخمور، والفجور والفسوق والسرقة باسم الذين وتضليل الناس وتشريكهم، وتخليط الرجال بالنساء، والتملك والتزلف والوشاية بالمسلمين الأحرار والنهب وأكل المسامير والزجاج واللعب والدفوف في المقابر، وعلى قبور الأولياء، وغيرها من الشطحات التي ابتدعوها وروَّجوها[3].

ولم يقفوا عند هذا الحد بل انتحلوا لأنفسهم الألوهية التي هي من خصائص الله تعالى وحدهُ، وجعلوا لأنفسهم شركاء لله، وذلك أنهم ادعوا مقامات ومراتب لا تليق إلا بالله عز وجل، فمن هذه الادعاءات: القدرة النافذة والتصرف المطلق في سائر الأكوان كلها علويها وسفليها، لا تتحرك ذرة في العالم ولا تسكن إلا بإذنهم وكل العوالم الأخرى من العرش والحجب والسماوات والأرض، وما في ذلك من أفلاك

[1] – المصدر نفسه،ص. نفسها .

[2]– الفرقد، "غبي طالح ...؛ يجني على الجنسية والدين،" الشهاب، عدد 96، 10 ذي القعدة 1345 الموافق لـ:13 ماي 1927،ص.8

[3] – المصدر نفسه، ص. 9.

وأملاك ونجوم فإنها خاضعة لسلطانهم، وفي طي قبضتهم، وبين أصبعين من أصابعهم[1]، ومنها: "أنهم يعلمون الغيب كله كثره وقله : الخمس فما عداها ما كان وما يكون، وما لا يكون وأن لو كان كيف يكون أزلا وأبدا"[2]. قال أحد شيوخهم :

ذراعي من فوق السماوات كلها *** ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتِي
وأعلم نبت الأرض كم هو نابت *** وأعلم رمل الأرض كـــــــم هو رملهُ
وأعلم علم الله أحصى حروف *** وأعلم موج البحر كم هـــو موجهُ
ملـكت بلاد الله شرقا وغربا *** وإن شئت أفنيــت الأنـــامِ[3]

وقد وصفهم احد العلماء بأنهم "مجانين الملاحدة، ومعتوهو الزنادقة، وحمقى الأهكاء المتحيِّرين ... يهرفون بما لا يعرفون"[4].

والحاصل أن العلماء إنما أجهزوا على الطرقية والطرقيين وحاربوهم لهذه الاعتقادات الباطلة، وهذه المقولات التي شاركوا الله في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته، فلا يشك عاقل في انحراف هؤلاء وضلالهم وبطلان اعتقادهم، فالله تعالى متفرد بالربوبية والألوهية، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله تعالى أن يشاركه أحد في الملك وتعالى أن ينازع في كبريائه وعظمته. ومن ثم لا نعجب أن يكون علماء ورواد الحركة الإصلاحية معول هدم لكثير من البدع والشركيات التي جعلت المجتمع الجزائري يتخبط في أوكار الطرقية بعيدا عن نور الإسلام الصحيح وهدايته .

والمتتبع لمجموعة الصحف الإصلاحية ومنها الشهاب "كجريدة" لا يكاد يخلو عدد من أعدادها إلا وموضوع الطرقية وانحرافات الطرقيين من المواضيع الرئيسة في

[1] – مسلم غيور، "ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد"، الشهاب، عدد 49، 9 رجب 1345 الموافق لـ: 13 جانفي 1927، ص.5.

[2] – المصدر نفسه،ص. نفسها.

[3] – المصدر نفسه، ص . 6.

[4] – المصدر نفسه، ص. 7.

الجريدة، وما ذلك إلا لتصاعد النفوذ الطرقي وتوغله في أوساط المجتمع: وكانت أكبر الطرق حربا مع المدرسة الإصلاحية الطريقة العليوية. فما هو موقفهم من هذه الطريقة؟

ج- علماء الاصلاح في مواجهة الطريقة العليوية :

إن ثمة حقيقة تاريخية ثابتة، وهي أن الطريقة العليوية[1] كانت أكبر الطرق الصوفية انتشارا في بداية القرن العشرين في الجزائر، وأن صراع المصلحين من العلماء كان مع هذه الطريقة، لما ضمَّت تحت لوائها من كثرة الأتباع، وجنايتها على الدِّين الإسلامي الصحيح، وفساد الاعتقاد وكثرة البدع والضلالات الواقعة فيها، إضافة إلى هذا فإن الطريقة العليوية خلطت في عقائدها كثيرا من عقائد الفرق الأخرى الباطنية على وجه الخصوص.

ورغم جهل صاحب الطريقة ابن عليوة،[2] إلا أنه كان يتوقد ذكاء ودهاء في معاملة الناس، سواء كانوا من مريديه وأتباعه وأصدقائه أم كانوا من خصومه ومقاومي

[1]- طريقة صوفية تنسب إلى صاحبها أحمد بن عليوة، وكانت الطريقة العليوية التي جدد بها الطريقة الشاذلية التي ورثها، قد استمدت فروعها في الحاضر والبادي، وتأسست جموعها في أغلب النوادي، وكانت بعض القبائل يحاول رؤساؤهم بكل إلحاح في طلب من يصل إلى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة . ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص. 161 نقلا عن كتاب الشواهد والفتاوى ص5. واسم الكتاب الكامل " الشواهد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي" الذي ينسب إلى الشيخ محمد بن عبد الباري التونسي الذي أقدم على نشره باسمه وطبعه في المطبعة التونسية وجعله ردا مباشرا على رسالة عبد الحميد بن باديس، والتي عنوانها "جواب سؤال عن سوء مقال" التي قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب. وضللوا من تجرأ على مقام النبوة وأساء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص.166.

[2] - ولد أحمد بن عليوة بمدينة مستغانم في الثلث الأخير من القرن (19) عام 1291هـ، ودفن بزاوية العامرة، وهو من عائلة شهيرة، تخرج منها عدد كثير من القضاة، وينتسب إلى جده الرابع ابن الحاج علي الملقب بابن عليوة، ولم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم بإجماع من عرفوه وترجموا له، وهذا بشهادة آثاره من الشعر والنثر، وقد اعترف بتقصيره في الطلب وضعف كتاباته بالقلم فقال في نظم رسالته العليوية:

طريقته من دعاة الإصلاح،[1] ولم يكتف ابن عليوة بالأساليب العادية لدى مشايخ الطرق، وبما ورثه عن سلفه، ومنها إقامة حلقات الذكر التي تدعى بـ: "الحضرة"[2] ولها آداب معلومة عند القوم، وربما رأى هذه الأساليب بالية، بل جدَّد أساليب الدعوة إلى الطريقة، ونسبها إلى نفسه، فدُعيت "بالطريقة العليوية"، أو دُعيت بهذا الاسم تكريما له على براعته ونشاطاته التي فاق بها معظم الطرق آنذاك. ومن الطرق والأساليب التي أدخلها على طريقته، والتي جدَّد بها هذه الأخيرة ما يسمى بـ: "الخلوة"[3]، وعبادة الله بالرقص، وما يقع فيه من قول وفعل ينافي السُّنة، وإقامة الحضرة، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذي الله ورسوله، وليته وقف عند هذا الحد، بل نسب هذه الأقوال والأفعال إلى خير الأنام، وإلى أصحابه – رضي الله عنهم- واستشهد بأحاديث

معترفا بتقصيري فيما أعلم ***** وضعف الأنامل لأخذ القلم

ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص-ص. 169-163 نقلا عن كتاب الحلل المرضية في شرح الرسالة العليوية ص.6

.[1]- Ali Merad, la réformisme musulman en Algérie de (1925-1940), Essai d'histoire religieuse et social, (mouton et co),paris,1967. . p71

[2] – الحضرة: عبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى، على وجه مخصوص وكيفية معلومة أذكارها دائرة بين الهيللة (لاإله إلا الله) الاسم الأعظم اسم الجلالة (الله) واسم الهوية (هو) .. وكيفيتها التحلق والاهتزاز بحركة متزنة، مع شيء من السماع للتشقق والتنشيط، حيث قال سيدهم أحمد بن يوسف عندما ذكر الحضرة: أوله لسان ووسطه قلب وآخره روح، ولا يخفى على المسلم بدعية هذه الفعل وأنه مخالف للذكر المشروع، ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص. 170 نقلا عن كتاب الشواهد والفتاوى ص.17،16.

[3] – الخلوة: هي بيت يدخله من مريديه، مرسوم بهذا البيت أمام المريد "الله" ينظر إليها أيام إقامته بالخلوة التي يفقد فيها الأكل والشرب ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة – تعالى الله – أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر، وإذا خرج المريد من الخلوة صار محبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه وعدوا أرزق من عاداهم. ينظر: بيضاوي، "بن ملجم القرن العشرين"، الشهاب، عدد 78، الخميس 2 رجب 1345، 6 جانفي 1927. ص. 4.

مكذوبة وموضوعة، وضعها تعضيدا لأفعاله ونصرة لطريقته، حتى يتوهم العامة أن أفعال هؤلاء مستندة إلى دليل شرعي، وأنها غير مبتدعة بل سُنَّة أحييت[1].

فمثال افتراءهم على الصحابة أنهم استدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين، وذكروا أن بعض المفسِّرين من المعاصرين نقل أن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى "يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم"[2] فقاموا يذكرون الله على أقدامهم.

فإذا سلمنا جدلاً أن هذا الأثر صحيح، فليس فيه أمر بالاجتماع في الذكر على كيفية مخصوصة وبصوت واحد مع رفع الأصوات والجهر بها، مع ما يصحبه من الغناء والتطريب، فهذه من البدع الإضافية؛ فالذكر في الأصل مشروع لكن تخصيصه بكيفية معينة وزمان ومكان معين بدعة قبيحة، عملا بالقاعدة الشرعية المعروفة: "أن كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيَّدة فتغيير هذه الصفة بدعة"[3].

أما الاهتزاز والرقص والشطحات فقد زعموا أنه مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث نسبوا إليه أنه قال: "ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب... سبق المهتزون بذكر الله... يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا"، ولا يخفى على من ذاق كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذا الحديث إن لم يكن موضوعا فهو لا أصل له في الشرع لا في كتب السُنَّة ولا غيرها، والمعروف منذ زمن السلف أن أكثر الوضاعين والأكثر كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، هم غلاة الناس وجهلتهم، ولم يسمعوا للوعيد الشديد الذي توعَّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] – ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص-ص.183-165.

[2] – أحمد حماني، مرجع سابق، ص.170، نقلا عن كتاب الشهائد ص.16.

[3]– محمد بن حسين الجيزاني، قواعد معرفة البدع، ط1،دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1998،ص.10

الكاذبين عليه حيث قال في الحديث المتواتر:"من كذب عليّ متعمداً فليتبؤ مقعده من النار"[1].

كما وضعوا على أبي بكر الصديق حديثا مكذوبا نسبوه إليه محتجين بذلك على مشروعية الرقص والدوران في حلقة الذكر[2] وهو دليل مختلق لم يثبت في حديث صحيح ولا ضعيف أن أبا بكر قام بفعل ذلك.[3]

فالرقص عند الذكر لا أصل له في الكتاب ولا في السُّنَّة ولا عمل به السلف وهم خير الناس بعد النبي، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولكنهم وقفوا عند كلام رسول الله، فليسعنا ما وسعهم، ولنقف حيثما وقفوا فإنها النجاة والفلاح، لكن أرباب الطرق زعموا أنها عبادة وأنها تقربهم إلى الله زلفى وصدق فيهم قول الشاعر:

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها *** إن السفينة لا تجري على اليبس.

ج- العلاقة بين العليوية والقادينية

إن من بين الأشياء التي ترمى بها (الطريقة العليوية)، اتصالهم بفرق باطنية ظهرت في القرون الأولى في زمن كثرت فيه الملل والنحل، ودخل في الإسلام من ليس

[1] – تقدم تخريجه، وكذلك ينظر: تقي الدين الهلالي،" في سبيل الإصلاح" الشهاب، 23 رجب 1347 الموافق لـ: 3 جانفي1929ص.8.

[2] – أحمد حماني، مرجع سابق، ص.170، 171.

[3] – احتجوا له بما روي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لما تبرع بماله كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي التهيؤ لغزوة تبوك، سأله: ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهذا الحديث رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما، ولكن الوضاعين زادوا فيه زيادة منكرة، لم تروى لا بسند ضعيف ولا صحيح، قال البوطي: "اختلق بعضهم زيادة في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر إن الله راض عنك فهل أنت راض عنه؟ فاستفزه السرور والوجد، وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: كيف لا أرض عن الله" –تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا– محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط.8، دارالشهاب، الجزائر، 1987، ص. 408.

منه واختلط فيها الحابل بالنابل، وهذه الفرق تفاوتت خطورتها وتأثيرها على الإسلام، إلا أن الشيء المؤكد الذي لا ينكره التاريخ، أن هذه الفرق ألحقت بالإسلام وأهله وعقائده من الأضرار ما الله به عليم، حيث مزَّقت وحدته وفكَّكت كلمته، وبجَّجت بيضته، وحينها تبجَّح وتسلَّط عليه الملحدون والمشركون، وما أُسست هذه الفرق أيضا إلا لتفكيك صرح الإسلام والوقوف في طريقه وفي طريق الفتوحات الإسلامية التي بلغت آنذاك مبلغا عظيما، حيث لم يتمكن هؤلاء من صد الزحف الإسلامي والانتصارات العظيمة التي خلَّدها التاريخ في سجلاته، وعندما آيسوا من ذلك وعجزوا بل واستسلموا، اتخذوا طريقا آخر وحيلة أخرى علَّها تكون مجدية لزعزعة الإسلام وإيقاف زحفه. فكان من ذلك أن دخلوا في الإسلام بمذاهبهم الهدَّامة واعتقاداتهم الباطلة وطرائقهم المبتدعة الغريبة عن الإسلام، ومن هذه الفرق فرقة خطيرة ظهرت عبر نهر التاريخ الإسلامي وهي فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا.

وإذا كانت كذلك فما هي حقيقة (الباطنية والقاديانية)، وما علاقتهما مع العليوية في الجزائر وما هي أوجه الترابط والتواصل بينهما؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه باختصارها ودون تفصيل حتى لا نخرج عن المقصود.

إن من شر الطوائف التي أصيب بها الإسلام من أوائل نهضته طائفة الباطنية[1] (الملاحدة) الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية، "وحملوا عليه مقتطعات من

[1] – وتاريخ هذه الفرقة معروف ومبثوث في كتب التاريخ الإسلامي، يقول الشيخ أحمد حماني: "ولقد لقي الشعب الجزائري من شرها ما التاريخ شاهد على ذلك أثناء حكمهم الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس؛ إذ كان مذهبهم القول بالحلول ووحدة الوجود، وأن الله قد حل بإمامهم،تعالى الله علو كبيرا، لذلك فقد جمع في (ذاته) النبوة (والألوهية). وأطلع على الغيوب، وإلى ذلك يشير شاعرهم لما نزل إمامهم المهدي (عبيد الله) بالقيروان وسكن (رقادة) مساكن الأغالبة:

هل برقادة المسيح ***** حل بها آدم ونوح.

هل بها الله ذو المعالي ***** وكل ما سواه ريح

الآيات والأحاديث حملاً تتبرأ منه العربية التي هي لغة القرآن وصاحب القرآن، وفهموا من تلك المقتطعات – بزعمهم – ما هو مضاد تمام المضادة[1]" بل إنهم خالفوا السلف أهل القرون الأولى من الصحابة – رضوان الله عليهم – وهم العرب الأقحاح، وخير الناس بعد الأنبياء، اختارهم الله لصحبة نبيه ونقل دينه، وتبليغه للأمم، وجاءوا ببدع من القول والفعل والاعتقاد، بل حرَّفوا النصوص عن ظاهرها[2]، بلا قرينة ولا مسوغ، بل وزعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا، فالظاهر تأويله ظاهر بيِّن للعامة، والباطن لا يفهمه إلا الخاصة، بل خاصة الخاصة، ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا من عند أنفسهم أقوالا باطلة لم يأذن بها الله ورسوله ونسبوها وألحقوها بخير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم وهو بريء منها "ثم عملوا لترويج هذا الكفر الأنكر والتزوير الأقدر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة إلى الخير ونشر الإسلام، فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثيرا ممن يعدُّون من الخاصة، ولم ينج من فتنتهم إلا الفقهاء بالسُنَّة والبصراء بأحوال العمران، والمتمسكون بهدي السلف في فهم النصوص والعمل بها[3]" وإن أشنع ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الباطلة

وقد رد عليه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحه وكشف جهله وزيغه، بل وسخر منه سخرية مرة بقوله:

بالجور قد رضينا ***** لا الكفر والحماقة

يا مدعي الغيوب ***** من كاتب البطاقة.

وممن ممثلي الباطنية في عصرنا هذا، طائفتان معروفتان تبرأ منها المسلمون وأصدروا إجماعا من أئمة وعلماء الإسلام على كفرها وكفر أهلها وهما (البائية والبهائية) بفارس، والقاديانية أو الأحمدية بالهند وباكستان. ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق.ح1.ص.2 وكذلك يراجع: لويس برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ط1، دار الحداثة، 1980.

[1]– الطيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند وشبه الشيء منجدب إليه"، الشهاب، عدد 79، 17 ذي القعدة الموافق لـ:20 ماي 1927، ص.7.

[2] – ينظر صابر طعيمة، العقائد الباطنية، وحكم الإسلام فيها، (دط)، المكتبة الثقافية، بيروت، 1986، ص.ص.11-16.

[3] – العقبي، مصدر سابق،ص.7.

الزائفة هي عقيدة الحلول ووحدة الوجود، وأنه ما ثَمَّ إلا شيء واحد، هذه المرئيات مظاهره، فلا خالق في الحقيقة – عندهم – ولا مخلوق ولا ربَّ ولا مربوب ولا عابد ولا معبود، ولازم هذه الأقوال أنهم يسقطون التكاليف ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى -عندهم- معنى للإسلام أصلا[1].

وهذه العقائد الباطلة ضلال مبين، وانحراف عن الدِّين، بل هو مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولو أنهم بدءوا بدعوتهم الناس إلى هذه الكفريات والترهات لقابلهم عامة المسلمين بالرفض والإنكار، بل هم كالعقارب إن تمكنوا لذغوا، بل يدفعنا القول إلى أن نشك في نسبهم إما إلى المجوس أو اليهود أو النصارى.

وأما القاديانية فهي طائفة حديثة حادثة ظهرت في الهند[2] ادعى صاحب هذه الفرقة أنه هو المسيح المنتظر، وأن الوحي نزل عليه بذلك، وأنه مستمِّر – أي الوحي – والنبوة في إتباعه، حيث ضل كثير من المسلمين بدعوة القاديانية والبهائية[3]، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وإيران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها التي فرَّقت المسلمين[4]، ومما جاء به القادياني الذي كان عونا للإنجليز – كما قلنا – إسقاط فريضة الجهاد من الإسلام[5]، وبذلك تمكَّن الإنجليز من كبح جماح بعض الثورات التي كانت قائمة آنذاك؛ لأن الشيء الذي كان

---

[1] – المصدر نفسه، ص. نفسها.

[2] – القاديانية: ديانة جديدة كان الإنجليز السبب في إنشائها كيدا للمسلمين وتفريقا لجمعهم، تنسب إلى ميرزا غلام أحمد القادياني، ظهرت بالهند على يد هذا الأخير بأفكار هدامة واعتقادات باطلة مخالفة لاعتقاد عموم المسلمين، وهي امتداد للباطنية القديمة. أحمد حماني، مرجع سابق، ص. 275.

[3] – ينظر: عبد المنعم أحمد النمر، البابية والبهائية،(دط)، مطبعة الشهاب، الجزائر، ص-ص 3-8. وما بعدها.

[4] – المرجع نفسه،ص. 278.

[5] وكان أول من فضح القاديانية وردَّ على صاحبها في حياته وعلى أصحابه بعد وفاته محمد رشيد رضا صاحب المنار نشرت في (ج8. م24) تحت عنوان "المسيحية الإسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية".

يعانيه الإنجليز هنا هو تمسك الهنود بالإسلام مما دفعهم إلى القيام بالثورات المتتالية التي زعزعت نفوذ الإنجليز وأعوانه، ولما أضطر إلى التسليم باستقلال الهنود وإنشاء دولتين في الهند، إحداهما الباكستان للمسلمين، حرصت أن يستلم القاديانيون مناصب ومراكز هامة في الدولة والجيش، ولكن الشعب الباكستاني تململ وثار ضدهم، واستطاع أن يتخلص منهم.[1]

وأصل ارتدادهم عن الإسلام حسب – محمد رشيد رضا – موضوع الرسالة "الصلاة عند الإسلام" وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة، وإنما تخالفها في المعنى والعقيدة، ويتضح ذلك جليا في تعليق واضع الرسالة نفسه على تفسير آية من سورة الفاتحة وهي قوله تعالى: "صراط الذين أنعمت عليهم" تعليقا صرَّح فيه بأصل ارتدادهم عن الإسلام وهذا ملخصه: "لقد وضع كل دين من الأديان المتبعة نموذجا خصوصيا ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الإسلام، أن في هذا الدعاء "أهدنا الصراط المستقيم" الآية، إرشاد المسلم بأن يتوسل إلى الله أن ينعم عليه بمثل ما أنعم به على أولئك المنعم عليهم، الذين قيل عنهم في موضع آخر من القرآن ما يفهم من أنهم أصحاب النبي والصديقون والشهداء والصالحون ... فالنبوة إذاً هي أسمى المراتب التي يتطلع إليها المسلم ... فالدِّين الإسلامي وحده هو الذي يرشد تابعيه إلى أن طريق الوحي لا يمكن أن يُسدَّ في وجوه الناس ... لقد أنبأنا النبي الأقدس صلى الله عليه وسلم بظهور أحد أعاظم أولئك الذين أنعم الله عليهم وأسماه (المهدي والمسيح)... ولقد ظهر ذلك الذات بالهند بمحلٍ يقال له (قاديان) فلا غرو أن إعلام الناس بأنه من الممكن الحصول على الوحي في أي وقت قد كان من الأخبار السارة

[1] – المرجع نفسه،ص. 275.

التي تدعوا إلى تشجيع المسلم الحقيقي في كل آن وتُعد قياسا للحكم بين الأديان المختلفة.."[1] انتهى.

وقد تصدت لهذه الفرقة المنحرفة والدخيلة على الإسلام صحيفة (الشهاب)، ونشرت شيء من حقيقتها (أي القاديانية الحلولية) ونقلت من (المنار) الكثير من الحقائق عنها، وذلك اتقاء لشرها بما تنشره بعض الجرائد في الجزائر – أي البلاغ – من اعتقاداتهم وانحرافاتهم الباطلة التي شوهت جمال الإسلام وألبسته عقائد المجوس والنصارى، ونظرا لخطورة هذه الفرق الباطلة، فإن السكوت عنها خطر عظيم وضرره جسيم، لهذا لا نعجب أن يحمل العلماء حملة واسعة ضدها وأن يرسلوا عليها شهب نارية وصواعق رعدية بمقالات ساخنة عملا بمبدئهم الديني الانتقادي، وانتصارا لدينهم السماوي، وكان أكثر العلماء فضحا لهم من خلال المقالات التي نشرتها صحيفة الشهاب هو الطيب العقبي[2] الذي لم يكن يتساهل في مثل هذه الأمور بقلمه السيال ولسانه العنيف، فهو اعتاد المجابهة لا المجاملة، وحارب كل من حاول تشويه الدين الصحيح باسم الدين والانتساب إليه.

وإن شرَّ ما جاءت به هذه الطائفة–أي العليوية– من عقائدها الباطلة هي عقيدة وحدة الوجود (أو حلول الخالق في المخلوق)، أخذتها عن فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا، وهم بهذا يسقطون التكاليف الشرعية عن المكلف، فلا دين ولا

[1]– محمد رشيد رضا، "المسيحية الإسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية "، المنار، ج.8، م.24، 30 ذي الحجة 1341 الموافق لـ:13 أغسطس 1923، ص. 579. 580.

[2]– والذي زادنا يقينا هو إمضائه تارة باسم "السلفي" وتارة بحرف العين، التي تعني العقبي، وتارة يصرح باسمه إضافة إلى الأسلوب العلمي القوي والعنيف الذي يومئ إلى أنه صاحب المقالات، فإنه في مثل هذه المواقف يتقدم بنفسه. خلافا لما ذكره الشيخ حماني الذي ذهب إلى أن كاتب هذه المقالات هو ابن باديس نفسه ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ج1. ص.273.

ملة، وهذا أمر ترفضه الفطرة السليمة بل هو مخالف للعقل الصريح فضلا عن النقل الصحيح.

ولكنهم لدهائهم ومكرهم يبتدئون دعوتهم بتلقين ذكر سري، والحث على العبادة، ومشاهدة الله –حسب زعمهم تعال الله عما يقولون – ثم بالرقص الذي تتهيَّج فيه الأعصاب، ويتفتَّح فيه الخيال، ثم بالخلوة والجوع والسهر حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولي عليه عقله، وهمه وخياله، فيخرج وهو يقول: أنه لا يشهد إلا الله، وأنه ما في الكون إلا الله، وأن الله هو، وأنه هو الله، إلى هذيانات لا تقبلها ملة، ولا يصدِّقها عقل، غير الملة الحلولية، التي أتت بهذه الفضائح، وعقل من قضى مدة تحت تأثير الأوهام والخرافات والمخدرات[1].

وهذا لا شك مخالف للملة الإسلامية؛ فهذه هي العقيدة الباطنية التي جاء بها ابن عليوة وأتباعه، وغيرها كثير[2]، يبشِّر بها المسلمين وينشرها بين الجاهلين، ويخذِّر بها عقول المريدين، ولقد اختار هو وأتباعه التستر وراء التصوف، والتصوف منهم بريء، وأظهر الدفاع عنه لا لشيء إلاّ لكي يموه عليهم ويصرفهم عن فهم الحقيقة، ولقد كان في ديوان الضلال[3] كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء قصدها، ولكن

[1]– ينظر: الطبيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند" الشهاب عدد 97، 17 ذي القعدة 1345 الموافق لـ:20 ماي 1927،ص. 8.

[2]– عن معتقدات ابن عليوة وأتباعه وحقيقة دينه، يراجع ما كتبه أحمد حماني،ج1. وكتاب الشهائد والفتاوى، وديوان ابن عليوة وما حوى من اعتقادات تخالف ملة الإسلام.

[3]– ديوان ابن عليوة صدر من صاحبه عام (1339هـ-1920م)، طبع لأول مرة بتونس، ثم بدمشق عام (1349هـ-1931)، ثم طبع بعد وفاة صاحبه، وبإذن من خليفته الشيخ عدة بن تونس (1355 هـ-1937م)وطبعة رابعة صدرت منه تحت عنوان (روضة المحبين في كلام العارفين) صدرت في فلسطين المحتلة، والطبعة الخامسة سنة 1982 بمستغانم، وهذا الديوان مشحون بالبدع والضلالات والدعاوى الباطنية والدعوة إليها، وبأقوال الحلول ووحدة الوجود وغيرها من العقائد الباطنية التي ذكرناها في الكلام عن العليوية وعقائدهم، ولمعرفة ما في هذا الديوان يراجع أحمد حماني، مرجع سابق، ص- ص. 187-190.

الله تعالى أراد أن يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها، فنشرت في أحد أعدادها رسالة جاءت إلى مديرها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند، تلك الجمعية التي تنتمي إلى غلام أحمد القادياني، الذي أخذ يأول (أي يحرف)القرآن تحريفا باطلا مثل ما فعله ابن عليوة في تفسير سورة (النجم) وغيرها[1].

ولا أدل من هذه الفضيحة، "فقد أرسل معتمد هذه الطريقة رسالة مبتهجا بتلك الجريدة، ونشرتها تلك الجريدة الحلولية في صدرها مبتهجة بها، فتعانقت الأختان واتحدت الطريقتان"[2].

وقد هاجم كتاب (الشهاب) لسان حال العلماء المصلحين هذه العقائد الباطلة، والمخالفة لأصل اعتقادهم ولم يكونوا يُقرُّون (بالحضرة) أو الرقص والسماع والشطحات[*] والحلول ووحدة الوجود، حيث تصدى لها جهابذة المصلحين وزعيمهم (الطيب العقبي) من الجزائر والمغرب أيضا، حيث لم تكن بهذا الأخير آنذاك صحيفة حرة يتنفَّسون فيها، فاتخذوا من (الشهاب) متنفسا لهم وملجأ، ولا يخفى أنه كان بالمغرب كالجزائر أمثال هؤلاء الصوفية المتأخرين[**] ومن أهل الحضرة الذاكرين الله

[1] – العقبي، المصدر نفسه، ص. 7، 8.

[2] – المصدر نفسه، ص. 8.

[*] – الشطحات: ألفاظ موهمة الظاهر، تستشكل ظواهرها. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الجبل، بيروت ص. 424.

[**] –وفي هذا الصنف من المتصوفة المتأخرين يقول ابن خلدون: "ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة (وحدة الوجود) وملئوا الصحف منه مثل الهروى في كتاب (المقامات) له، وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية (الباطنية) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهما (أي السلف الصالح) فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين". ابن خلدون، المصدر نفسه، ص.423.

بالرقصات والشطحات أو أكثر وأخطر والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه[***] ، ولقد نشرت (الشهاب) مقالات ساخنة، بإمضاءات مستعارة وأخرى مبهمة، أطلقوا فيها العنان لألسنتهم النارية في كشف أباطيل ومنكرات القوم، وبينوا ما هم عليه بيانا لا ريب فيه حتى يحذر الناس هؤلاء الأفاعي الذين أفسدوا الدِّين والدنيا.

وليس غرضنا في هذا المقام هو إبراز كل فضائح العليوية وانحرافاتها، يكفي أننا ذكرناها إجمالا لنبين للقارئ انحراف هذه الفرقة وأتباعها، وأنهم أتوا ببدع من القول والفعل والاعتقاد، وخالفوا جماعة المسلمين في أصل اعتقادهم، من أجل ذلك كله تصدى لها علماء الحركة الإصلاحية بالفضح والكشف وأبانوا عن ضلالها، حتى لا يغتر بها مغرور، وقد لخصت صحيفة (الشهاب) غرضها من هذا بقولها: "وما بقي على العلماء المصلحين إلا أن يعرفوا بضلال هذه الطريقة القاديانية الضالة، وليعلم باالقطع ضلال العليوية وأختها المبتهجة بها، لأن الضال لا يلتصق إلا بمثله، والشَّكل لا يحن إلاَّ إلى شكله، والأمر الآخر ليحذر الجزائريون من عائلة القاديانية التي أرادت أن تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالتها في القطر الجزائري"[1].

[***] – الدرقاوية: طريقة صوفية كان أول ظهورها بالمغرب الأقصى، وأصلها هي الطريقة الشاذلية، تنسب إلى محمد العربي الدرقاوي (ت1223)وتنسب إلى الدرقاوية مواقف مختلفة منها: أنها خالفت تعاليم الشاذلية في التسامح والحياد إزاء السياسة والمهادنة، ومنها أنها أعطت دفعا جديدا للشاذلية رغم بقائها من الناحية الفلسفية تلميذة لها، ينظر عن تاريخ هذه الطريقة: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.5، ط.1 دار المغرب الإسلامي، بيروت:1998 ص-ص. 112،122.

[1] – الطيب العقبي، مصدر سابق. ص.8.

د- بعض مؤخذات العلماء على العليويين

استند المصلحون في إلزام العليويين وشيخهم - بهذه المعتقدات الضالة والمخالفة لما هو عليه السواد الأعظم من المسلمين- وكذلك بعض المتصوفة المعاصرين، وبخاصة القول بالحلول ووحدة الوجود، على أقوال رويت عنهم ونسبت إليهم، ورُوّجت بأسمائهم طبعاً ونشراً، فلم ينكروها ولم يتبرءوا منها[1]، وخاصة ديوان الضلال (لابن عليوة)، وبذلك استحقوا أن ينسبوا إلى هذه الفرق الباطنية القديمة والحديثة، وشبه الشيء منجذب إليه[2].

والواقع أن شيخ الطريقة العليوية (ابن عليوة) يشبه كثيرا القادياني صاحب الطريقة القاديانية من وجوه كثيرة:

- فغلام أحمد القادياني قد أدعى النبوة، وزعم أنه يتلقى الوحي من الله وأن الوحي مستمر، وابن عليوة قد أدعى الألوهية وزعم أنه هو الله كما في ديوانه.

- والقادياني يزعم أن أتباعه ومريديه قد ملؤوا الأرض بكثرتهم وعلى اختلاف أصنافهم، وأن الملك الفلاني، والأمير الفلاني، والعظيم الفلاني قد اتبعوه واعتنقوا دينه الجديد، وشيخ الحلول (ابن عليوة) يدَّعي أن أتباعه لاتخلوا منهم بقعة من الأرض مشرقها ومغربها، فأهل اليمن في زعمه كلهم من مريديه وأتباعه، وأن زواياه منتشرة في أمريكا وأروبا واليابان.. وليس ببعيد أن يدعي أن سكان المعمورة وأهل السماوات والكواكب الأخرى، قد صاروا أتباعا له ومريدين، بل بلغ به الأمر إلى ادعائه أن كل بطل ظهر في الأرض إلا وهو من مريديه .

---

[1]- أحمد حماني، مرجع سابق، ص. 176.

[2]- صدر بيت لأبي الطيب المتنبي. وتمامه: وأشبهنا بدنيانا الطغام.

والطغام: هم أراذل الناس وأوغادهم وأوباشهم. ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994، ص.473.

– والقادياني يشتم خصومه ومناوئيه بأنهم كانوا مدحوه، حتى أن أحد خصومه أجابه وقال: مدحتك قبل أن تدَّعي النبوة، وكذلك ابن عليوة يسبُّ ويشتُم خصومه، الذين أنكروا عليه هذه الدعاوى والاعتقادات الباطلة وادعائه الألوهية، بأنهم كانوا أثنوا عليه وقالوا فيه خير وصدق عليه قول القائل: أن شبه الشيء منجذب إليه[1].

وبهذا افتضح ابن عليوة وطريقته، وصحَّت نسبته إلى غيره من الفرق الأخرى من الباطنية والقاديانية، وأنه أخذ عنهم وجدَّد طريقته بعقائدهم، فالعلاقة بينهم وطيدة ومتصلة، ومما زاد الطين بلة ما قامت به هذه الطريقة من محاولة السطو بابن باديس زعيم الجماعة الإصلاحية الجزائرية وملهمها، والقضاء عليه، وبالتالي القضاء على الحركة الإصلاحية؛ وذلك لما اشتد النكير على الطرقيين عموما والعليويين بالخصوص من طرف رجال الحركة وكتابها الأحرار، وحملتهم الواسعة على هؤلاء أذناب الاستعمار الذين ما برحوا ينشرون أفكارهم الباطلة واعتقاداتهم الزائغة، إلا أن العلماء المصلحين وعلى رأسهم ابن باديس لما رأوا الأمر أمرا منكرا[2]، أججوا أقلامهم وألسنتهم لصدهم وصد كيدهم، وكان إعلان الحرب علانية على هؤلاء القوم بعد تأسيس جريدة المنتقد– الشهيد – الذي هو اسم على مسمَّى، والذي راح ينتقد بشدة وبقوة لاهوادة فيها هؤلاء الطرقيين ...والذي يعتبر الصحيفة الأولى التي ظهرت في الجزائر وحملت راية الدفاع عن الإسلام الصحيح، وما ألصق به من البدع والمنكرات ... وكان يكتب فيها رجال من خيرة أبناء الجزائر الذين تربوا في أحضان الإسلام الصحيح، وأشربوا من ينابيعه الصافية، وتخرجوا من خيرة المعاهد الإسلامية

[1]– محمد السعيد الزاهري، "شيخ علماء الجزائر أم شيخ الحلول،" الشهاب، ج.11، م. 9، جمادي الثانية 1352 الموافق لـ: أكتوبر 1933،ص.449، 450.

[2]– وهذا الكلام صدر بيت شعري ينسب لعلي ابن أبي طالب قاله في حق غلاة الشيعة الذين ألهوه وجعلوه ربا من دون الله، قال فيهم: لما رأيت الأمر أمرا منكرا ... أججت نارا ودعوت قنبرا.

بالداخل على يد ابن باديس وبالخارج في المعاهد والجوامع، فراحوا يكشفون حقيقة هذه الطرقية، وما تحمله من انحرافات، إلا أن القدر شاء لها أن تعطل بقرار حكومي من طرف الإدارة الاستعمارية، وذلك خوفا منها ومن مبدئها، إلا أن ابن باديس ورجاله لم يتوانوا ولم يستسلموا بل ازدادوا إيمانا وقوة، فأسسوا جريدة أخرى سميت بالشهاب على نسق الأولى (المنتقد) مع إحداث بعض المرونة في مبدئها وسياستها، إلا أنها كانت على الطرقيين كالشهب النارية، تحمي هذا الدِّين من كل شيطان مارد، ومن كل ملبس خائن.

وأول صدام عنيف بين رجال الإصلاح وأصحاب الطرق الصوفية كان مع الطريقة العليوية وشيخها ابن عليوة، وهذا "بعد أن آلت إليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي"[1] ولكن ابن عليوة كان له طموحا أكبر فجدَّد الطريقة –كما ذكرنا – وأدخل فيها أمورا جديدة، وألبسها لباسا جديدا وأخذ يدعو إليها وينشر عقائدها ...حيت ذاعت وانتشرت في القطر الجزائري وخارجه، وأصبح لها مريدون كثر يعدون بالآلاف، ولم يكن هذا يخفى على ابن باديس وأصحابه من العلماء.

وجاءت القطرة التي أفاضت الكأس، وذلك عندما أقدم ابن عليوة على نشر ديوانه وأعلن فيه عن مذهبه واعتقاده وأباطيله، وقد سمع ابن باديس بهذه الأبيات وما حوت من الضلالات، وعن سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، سئل – رحمه الله –عن حكم من يقولها، وهل جائز أن يوجه إلى رسول الله مثلها؟

وحسب أحمد حماني– رحمه الله– فإن ابن باديس تردد في الإجابة عن هذا السؤال، وبعد أن استخار الله كتب في الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم

[1]– أحمد حماني، ج. 2، مرجع سابق،ص. 62، والبوزيدي هو شيخ الطريقة الدرقاوية المتوفي سنة 1909.

غزيرة العلم عنوانها (جواب سؤال عن سوء مقال) الذي انتهى من تحريرها والإجابة عن السؤال سنة 1922 م من شهر ذي الحجة، وبعث هذه الرسالة إلى مجموعة من العلماء الكبار في المغرب وتونس والجزائر لقراءاتها وتقريظها[1].

لنتصور كيف كان وقع هذه الرسالة في المجتمع؟ وما هي ردود الفعل عليها؟ وما هي الأساليب والطرق التي اتخذها العليويون لرد هذا الجواب؟

لقد كانت الصدمة عنيفة وقوية، أصابت الطريقة وشيخها في مكمن سرِّها، وشكَّكت في عقيدتها ونبهت جمهور الأمة إلى ما ينشره هؤلاء، حتى اضطروا إلى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب وأصحاب المجالس والأعيان، بصحة إسلام الشيح وسلامة اعتقاده، وأرادوا أن يبرؤا شيخهم مما هو عليه من انحراف وضلال، ويلبسوا على الناس أنه يسير مع سواد الأمة، وأنه يدور مع القرآن والسنة حيثما دارا، وينهل من علمهما، وهيهات هيهات أن يرجع دعاة الضلال عن دعواهم، فلم يسحب ديوانه من السوق ولم يكتب حرفا واحدا يبين تراجعه عما يقول، بل ثبت على عقيدته ومذهبه.

ولما ظهرت الصحافة في منتصف العشرينيات بدء (بالمنتقد) (والشهاب) (والإصلاح) وغيرهم، حملوا حملة شنعاء على دعاة الطرق الصوفية وشيوخها، وعلى البدع والمنكرات التي سيطرت على عقول العامة ورمت بهم في غيابات الجهل وجعلتهم يستسلمون للقدر ولسان قالهم (كل شيء مكتوب علينا) ونبذوا الأسباب الشرعية وراءهم ودخلوا في مذهب جديد ارتأينا أن نطلق عليه (بالمذهب السكوني STATIQUE)، واجتمع جيش المصلحين على هؤلاء بأسلحتهم الوهاجة، واشترك

[1] –منهم: الشيخ محمد النخلي، بلحسن النجار، الطاهر بن عاشور، شعيب بن علي التلمساني، المولود بن الموهوب، العابدين أحمد بن سودة، محمد بن العربي، كما قرَّظها غير واحد من أصحاب الجرائد والمجلات العربية، كمجلة الفتح القاهرية. ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص.[63].

في الكتابة فطاحلة العلماء والكتاب والمفكرين من مختلف البلدان العربية وخاصة من المغرب وتونس، فضلا عن أهل البلد، ولقد اشتدت المعركة وحمى وطيسها وبرز كتاب أشداء على هؤلاء، كان أعنفهم لهجة وأجرؤهم، الطيب العقبي ومبارك الميلي اللذين كانا يبثان مقالاتهم بالشهاب تارة بإمضاءاتهم وتارة بإمضاءات مستعارة، وهذا عندما يبالغون في النقد والنقض يقول العقبي: "وأعدكم وعدا صادقا بأني إن شاء الله سأملأ البرق (جريدة البرق) بمقالاتي الرعدية، الزجرية، وسأرسل على رؤوس الشياطين كل ما أستطيعه من شهب نارية فأبعث إلى مجلة الشهاب ما يليق بها من كل ما يتفق مع خطتها وأرسل بما يلتئم مع البرق ويخطف سناء أبصار المجرمين"[1]، وأما (الميلي) فيقول عنه محمد علي دبوز: "وكان يهجم على الإلحاد الذي تبثه المدارس الاستعمارية ويهاجم ضلالات الطرقيين الضالين (كزردات القبور) وحفلات مواليد الطرقيين واعتقاد العامة في الشيخ وطريقته ما ينافي الدِّين... ولقد هاجم الشيخ الطرقيين في دروسه وكتاباته وانقض عليهم بمعاوله..."[2] وأما أحمد حماني فيؤكد: "أن قلمه كان شديدا في حرب الضلالات والبدع والخرافات ودجل بعض المنتسبين إلى التصوف وخاصة (دعاة الحلول ووحدة الوجود) لبعدهم عن الحق في القول والاعتقاد والسلوك"[3].

هـ- العليويون بين الصدمة والانتقام

لقد عجز الطرقيون عن المجابهة وأيقنوا أن المعركة غير متكافئة، وأن الفشل حليفهم، فراحوا يكيدون كيدا ويدبرون أمرا، وهو الإنتقام من الحركة الإصلاحية عموما وزعمائها خصوصا، ورأوا بمكرهم أن ينتقموا من زعيم الجماعة الإصلاحية بن

[1]- الطيب العقبي، "إلى الأمام إلى الأمام"، البرق، عدد 7، مصدر سابق. ص.2.

[2]- محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة، ط.1،المطبعة العربية، الجزائر، 1389 هـ 1969. ج. 3 ص. 268.

[3]- أحمد حماني، مرجع سابق. ج. 2. ص. 14.

باديس، وذلك بالتخلص منه، والقضاء عليه، وظنوا أن بموت ابن باديس تموت حركة الإصلاح في الجزائر، وتقبر وتصير من الماضي.

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمدينة مستغانم، مركزهم ومنبت دعوتهم، وقرروا قتل ابن باديس حيث أرسلوا إليه فدائيا منهم يدعى (ممين أو ميمان)[1] فسافر لأداء مهمته (الخبيثة) من مستغانم[2]، وركب القطار ووصل إلى قسنطينة، وشرع مع إثنين آخرين أو ثلاثة من أعوانه يترصد للشيخ والتحقق في معرفة مسكنه وتحركاته وأوقاته... ثم أقدم مساء تسع من جمادى الآخرة 1345هـ الموافق لـ: 14ديسمبر 1926 على محاولته الآثمة، فأصابته بضربتين على رأسه وصدغه من هراوة وأدماه، وحاول أن يسل (موسي) من نوع (بوسعادي) ليجهز عليه ويطعنه، ولكن شاء الله أن يبقى ابن باديس ويبطل كيد هذا القاتل[3]، وقد دُبرت هذه المكيدة بالليل في منتصفه بعد رجوع ابن باديس من دروسه التي كان يلقيها في الجامع الأخضر، ولكن الله أراد خيرا {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}[4].

[1]- اسمه محمد الشريف من دوار الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف.

[2]- يذكر الميلي عن السبب المباشر في الانتقام من ابن باديس أن هذه الشردمة (من العليويين)اجتمعت وتحدثت فيما بينها فيما تنشره (الشهاب) – عرضا – ضد ترهات شيخها وقررت الانتقام من "بيضاوي" ولما لم تعرف شخصه هولت على جريدة (الشهاب) وطلبت منها تعيينه لها فلم يؤثر ذلك في الإدارة شيئا وأجابتها بالرفض وهناك قررت بإجماع الأصوات، أن تعبث بحياة الأستاذ بن باديس لكونه المشرف على تلك الإدارة. ينظر: بيضاوي (الميلي)، "ابن ملجم القرن العشرين"، الشهاب، عدد 78، 2 رجب 1345، الموافق لـ: 6 جانفي 1927. ص.

[3]- أحمد حماني، مرجع سابق ص. 64.

[4]- سورة الأنفال، الآية 30.

وقد اعتبرت جريدة (النجاح) هذا السطو ليس سطوا على الشيخ عبد الحميد بن باديس بل هو سطو على من انتسب للعلم والمهنة الصحفية[1].

وكان وقع هذا الحادث فضيع في الأوساط الداخلية والخارجية، وبذلك انكشف الغبار عن هذه الطريقة[2]، وبانت حقيقتها للعيان ، وقد قيل في هذه الحادثة الفظيعة من النظم والشعر حينئذ في مختلف الصحف الجزائرية وغير الجزائرية الشيء الكثير. نشرت (الشهاب) الكثير منها[3]، وقد تناولها – أحمد حماني – بالتسجيل والشرح[4].

والحق أن هذه الحادثة التي استنكرها القاصي والداني، حتى من أصحاب الطريقة نفسها قد أثرت ثروة أدبية من النثر الفني ومن الشعر مباحث علمية وأدبية ودينية راقية، وقصائد شعرية رائقة[5]، بل يعتبر هذا الحادث إضرام نار جديدة وصراع

[1]– مجهول، "أبهذا تعامل العلماءّ، النجاح، عدد 382، جمادي الثانية 1345 هـ الموافق لـ: 17 ديسمبر 1926، ص 2.

[2]– حتى سماها (أي العليوية) صاحب جريدة النديم حسين الجزيري "طريقة الدبوس"، والنديم: جريدة تونسية هزلية اجتماعية. صاحبها حسين الجزيري من أقدم الجرائد التونسية، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية ج.[1]. ص. 117.

[3] –ينظر: تفاصيل الحادث ابتداء من العدد 75 وما بعده .

[4]– ينظر: أحمد حماني، ج1.مرجع سابق.

[5]– عن بعض القصائد التي قيلت في هذا الحادث ينظر:

- العدد 78.
- العدد 79 قصيدة طويلة للزاهري (محمد السعيد)
- العدد 81 قصيدة طويلة لمحمد السعيد
- العدد 83 قصيدة طويلة للعقبي (الطيب)
- العدد 94 قصيدة طويلة بإمضاء (غريب) و (علوي) وهما قصيدتان.

جديد بين أنصار السنة وأصحاب البدعة بين العلماء السلفيين والطرقيين المبتدعين، وبدأ عهد آخر من الصراع، واشتدت الأقلام في التحذير من هذه الفرقة الباطنية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن الوصول الى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات:

- أن بداية القرن العشرين يعتبر مرحلة جديدة وحاسمة بالنسبة للجزائر المستعمرة انتقل فيه المجتمع الجزائري من المقاومة المسلحة إلى المقاومة السياسية والثقافية.
- إن ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية في بداية النصف الأول من القرن العشرين كان بمثابة إعلان عن ثورة ثقافية منظمة ومهيكلة، استهدفت الوجود الاستعماري واذنابه.
- أن المد الطرقي طغى على المشهد الديني والثقافي في الجزائر وكان الصدام مع الحركة الإصلاحية حتميا.
- إن الطريقية العليوية في الجزائر وقفت في طريق حركة الإصلاح والتجديد التي أعلنها المصلحون، ولهذا بدأت المعركة مع ظهور الصحافة الإصلاحية كإحدى الوسائل الدعائية والتوعوية والاتصالية.
- أن الانحرافات الطرقية التي مست عقيدة الجزائريين ودينهم أضحت في نظر الجماعة الإصلاحية تشكل خطرا حقيقيا على المشروع الإصلاحي ومعيقة للمعركة مع الاستعمار.
- أن موقف الحركة الإصلاحية من الطرقيين كان في نظرهم واجب ديني ووطني معا، كون الطرقيين ساهموا في نشر الفكر السكوني في الأوساط الاجتماعية وساهموا في تمييع المعركة مع الاستعمار . أو عقبة في طريق التحرير.

ومن التوصيات التي يمكن اقتراحها في هذا الشان:

دراسة خلفيات الاتجاه الديني في الجزائر منذ العهد العثماني لمعرفة التطور الحاصل في المنظومة الدينية في الجزائر وتطورها، وكيف ساهم الاستعمار في تدجينها واخضاعها، كما ينبغي مواصلة دراسة التواجد والحضور الصوفي في الجزائر ومحاولة تقييمه في ظل المصادر ، من خلال تفكيك العقل الصوفي ومعرفة طبيعة المعرفة التي يقوم عليها التصوف بنظرة موضوعية وعلمية بعيدة عن الخلفيات والمقررات السابقة، كما ندعوا إلى تقييم نوعية المساهمة التي قدمها التصوف للأمة في ظل العولمة.

المصادر والمراجع

1- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج.2،ط.1، دار البعث، الجزائر 1405هـ-1984م.

02- البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد. رقم (2652) . ج.5، ص.259 ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (2533)، ج.4،

03- لويس برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ط1، دار الحداثة، 1980.

04- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.5، ط.1 دار المغرب الإسلامي، بيروت:1998

05- عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.3، ط.1، دار الفيحاء، دمشق 1994،

06- ربيع بن هادي المدخلي، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الكتب والرجال والطوائف، (دط)، مكتبة الصحابة،جدة،1992

07- محمد بن حسين الجيزاني، قواعد معرفة البدع، ط1،دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1998،

08- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط.8، دارالشهاب، الجزائر، 1987،

09- صابر طعيمة، العقائد الباطنية، وحكم الإسلام فيها، (دط)، المكتبة الثقافية، بيروت، 1986،

10- عبد المنعم أحمد النمر، البابية والبهائية،(دط)، مطبعة الشهاب، الجزائر،

11- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الجبل، بيروت.

12- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994،

13 - محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة، ط.1،المطبعة العربية، الجزائر، **1389** هـ **1969**. ج. [3]

14- مازن صلاح الدين حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، ط.1، دار القلم، دمشق 1408 هـ-1988م.

15- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها)، من 1903 إلى 1931، ج.1، (د.ط)، ش.و.ن.ت، الجزائر 1978م

الصحف والمجلات المصدرية

01- تقي الدين الهلالي،" في سبيل الإصلاح" الشهاب، 23 رجب 1347 الموافق لـ: 3 جانفي1929

02- الطيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند وشبه الشيء منجدب إليه"، الشهاب، عدد 79، 17 ذي القعدة الموافق لـ:20 ماي 1927،

03- محمد رشيد رضا، "المسيحية الإسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية "، المنار، ج.8، م.24، 30 ذي الحجة 1341 الموافق لـ:13 أغسطس 1923،

04- الطبيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند" الشهاب عدد 97، 17 ذي القعدة 1345 الموافق لـ:20 ماي 1927

05- محمد السعيد الزاهري، "شيخ علماء الجزائر أم شيخ الحلول،" الشهاب، ج.11، م. 9، جمادي الثانية 1352 الموافق لـ: اكتوبر 1933،

06- أحمد الهاشمي، "آفة الحق في سكوت أهله عنه"، الشهاب، عدد 113، ربيع الأول 1346 الموافق لـ: 8 سبتمبر 1927،

07- بيضاوي (الميلي)، "ابن ملجم القرن العشرينّ، الشهاب، عدد ^{78}، ^{2} رجب ^{1345}، الموافق لـ: ^{6} جانفي ^{1927}.

08- مجهول، "أبهذا تعامل العلماءّ، النجاح، عدد ^{382}، جمادي الثانية 1345 هـ الموافق لـ: ^{17} ديسمبر ^{1926}،

09 - قدرو بن محمد لخضر، " محاربة الطرقية "، الشهاب، ج.5، م .10 محرم 1352 الموافق لـ: أفريل 1934.

10 - ابن باديس، "الطرقية"، الشهاب ج.1، م.14، محرم 1357 الموافق لـ: مارس 1938،

11 -الطيب العقبي، "أين الحكومة لتحفظ النظام العام"، الشهاب، عدد 80، 16 رجب 1345 الموافق: لـ: 20 جانفي 1927،

12 - ابن باديس، "أيها المسلم الجزائري"، الشهاب، عدد 49، 15 صفر 1345 الموافق لـ: 23 أوت 1926،

13- محمد المكي الناصري، "إلى شباب الأمة"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـ: 17 مارس 1927،

14- ابن باديس، "شكوى النبي الكريم من هجرا القرآن الكريم"، الشهاب،ج.2. م.8، شوال 1350 الموافق لـ: فيفري 1932،

15- بيضاوي، "بن ملجم القرن العشرين"، الشهاب، عدد 78، الخميس 2 رجب 1345، 6 جانفي 1927.

16- محمد الزهار، "شر المغرورين أو الغروريين"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـ: 17 مارس 1927،

17- الفرقد، "غبي طالح ...؛ يجني على الجنسية والدين،" الشهاب، عدد 96، 10 ذي القعدة 1345 الموافق لـ:13 ماي 1927،

18- مسلم غيور، "ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد"، الشهاب، عدد 49، 9 رجب 1345 الموافق لـ: 13 جانفي 1927،

المراجع بالفرنسية

01-Mahfoud Kaddache ,Histoire du nationalisme algérienne (1919 – 1951) , S.N.E.D , Alger , 1980 , T.2 .

02- Charle Rebert Ageron, les Algérien musulman et la France (1871-1919), T.1, presse universitaire de France.

03- Ali Merad, la réformisme musulman en Algérie de (1255-1940), Essai d'histoire religieuse et social, (mouton et co),paris,1967.